تنِيسِـــي وليَـــامز

خطِاب اللورد بَايرُون الغرامي

الشخصيات:

العانس

المرأة العجوز

الهانم

الزوج

(المنظر: ردهة في بيت عتيق باهت اللون في الحي الفرنسي في نيو أورليتز، في أواخر القرن التاسع عشر.
مصراعا الحجرة يفتحان مباشرةً على رصيف المشاة، وضوضاء احتفالات أعياد ثلاثاء المرفع تتميز بخفوتها. الداخل معتم للغاية. على الجانب، ثمة مصباح ذو ظلال وردية. العانس امرأةٌ في الأربعينيات تمارس الخياطة. يبدو الركن المقابل بلا حراك، والمرأة العجوز تجلس وعلى جسدها فستان حريرى أسود. جرس الباب يرن)

العانس: (تنهض) من المحتمل أن يكون شخصٌ ما قادم ليلقي نظرة على الخطاب.

المرأة العجوز: (تنهض على عكازها) أمهليني وقتًا لأخرج.

(تتقهقر تدريجيًّا خلف الستائر. أحد أطرافها لا يزال ظاهرًا، تمسك ستارة وتفتحها قليلاً لتتمكن من رؤية الزوار. العانس تفتح الباب، والهانم- امرأة في خريف العمر- تدخل الحجرة)

العانس: ألن تتفضلي بالدخول؟

الهانـــم: شكرًا.

العانس: هل أنتِ من مدينتنا؟

الهانـــم: أوه، نعم، نحن من ميلوكي. قدمنا من أجل عيد ثلاثاء المرفع، زوجي وأنا.

(فجأة تلاحظ طائر كناري محنط في قفصة العاجي الصغير ذي اللون القرنفلي)

أوه، هذا الطائر الصغير المسكين محبوس في قفص صغير جدًّا! إن هذا القفص أصغر من أن تضعي فيه طائر كناري!

العانس: إنه طائر كناري غير حي.

المرأة العجوز (من خلف الستار): لا، إنه محنط.

الهانـــم: أوه. (بوعي، تلمس الطائر المحنط بقبعتها) ونستون في الخارج يتسكع في الشارع، يخشى أن يفوته الموكب. الموكب سيمر من هنا، صحيح؟

العانس: نعم، لسوء الحظ سيمر من هنا.

الهانـــم: لاحظت إعلانكم على الباب. هل صحيح أنكم تقتنون خطابًا من خطابات اللورد بايرون[1] الغرامية؟

---

[1] اللورد بايرون (1788- 1824) من أشهر الشعراء الرومانسيين الإنجليز. من أهم أعماله "دون جوان"، "عروس أبيدوس"، "القرصان"؛ (المترجم).

العانس: نعم.

الهانـــم: هل هو ممتعٌ جدًّا! كيف حصلتم عليه؟

العانس: لقد كتب لجدتي، إيريني مارجريت دي بويتفيت.

الهانـــم: هل هو ممتع جدًّا! أين قابلَت اللورد بايرون؟

العانس: على سلالم الأكروبوليس[2] في أثينا.

الهانـــم: هل هو ممتع، ممتع جدًّا! لم أعرف مطلقًا أن اللورد بايرون زار اليونان من قبل.

العانس: اللورد بايرون أمضى السنوات الأخيرة من حياتة المضطربة في اليونان.

المرأة العجوز (ما تزال خلف الستائر): لقد نفي من انجلترا!

العانس: نعم. لقد ذهب إلى منفى اختياري من انجلترا.

المرأة العجوز: بسبب شائعات افترائية انتشرت في بلاط الحاكم.

العانس: نعم، شملت أخته الغير شقيقة!

المرأة العجوز: كان ذلك افتراءً- تمامًا.

العانس: لم يثبت أبدًا.

المرأة العجوز: كان رجلاً عاطفيًّا، لكنه لم يكن شريرًا.

العانس: أعتقد أن الأخلاقيات هي موضوعات مبهمة.

الهانـــم: ألن تدخل السيدة الواقفة خلف الستائر إلى هنا؟

العانس: يجدر بك أن تعذريها. فهي تفضل أن تبقى بعيدًا.

الهانـــم (بعناد): أوه، أفهم. هل لي أن أسأل، ماذا كان يفعل اللورد بايرون في اليونان؟

---

[2] الأكروبوليس: معبد إغريقي، وأشهر معالم أثينا واليونان عمومًا؛ (المترجم).

المرأة العجوز (بفخر): يناضل من أجل الحرية!

العانس: نعم، ذهب اللورد بايرون إلى اليونان لينضم إلى القوات التي تحارب ضد الخونة.

المرأة العجوز: وهب حياته للدفاع عن الحركة العالمية من أجل الحرية.

الهانم: ماذا كان ذلك، ماذا قُلتِ؟

العانس (تكرر بشكل آلي): وهب حياته للدفاع عن الحركة العالمية من أجل الحرية.

الهانم: أوه، كم كان ذلك ممتعًا جدًّا!

المرأة العجوز: وأيضًا سبح في مضيق الدرنديل[1].

العانس: نعم.

المرأة العجوز: وأحرق جثة الشاعر شيللي[2] الذي غرق في عاصفة في البحر المتوسط، ومجلد كيتس[3] في جيبه!

الهانم (بريبة): عفوًا؟

العانس (تكرر): وأحرق جثة الشاعر شيللي الذي غرق في عاصفة في البحر المتوسط، ومجلد كيتس في جيبه.

---

[1] مضيق الدرنديل: مضيق يصل بين بحر مرمرة وبين البحر المتوسط، طوله **28** كيلو مترًا، وعمقه من 54 إلى 90 مترًا (المترجم).

[2] شيللي (1792 – 1822): من أشهر الشعراء الرومانسيين الإنجليز، صديق اللورد بايرون. من أهم أعماله "رجال انجلترا"، "ساحرات أطلس"، "دفاعًا عن الشعر"، "نظرة فلسفية إلى الإصلاح"، "بروميثيوس طليقًا" (المترجم).

[3] كيتس (1795 – 1821): من أهم الشعراء الرومانسيين الإنجليز، كان تأثيره على الشاعر ألفرد تينيسون كبيرًا. من أهم أعماله "نشيد إلى الخريف"، "المرأة الجميلة بلا شفقة" (المترجم).

الهانم: أوه، كم كان ممتعًا، ممتعًا جدًّا! حقًّا، أرغب كثيرًا في أن يسمع زوجي هذا. هل تمانعين إذا خرجت لبرهة ودعوته للدخول؟

العانس: من فضلك، دعيه يدخل.

(الهانم تخطو خارجةً بسرعة، تنادى: ونستون! ونستون!)

المرأة العجوز (تطل برأسها لبرهة): راقبيهما بدقة! لتكن عيناك حادتين في مراقبتهما!

العانس: نعم، فلتهدئي.

(تعود الهانم مع زوجها الذي كان يحتسي خمرًا، ويلبس قبعة ورقية محاطة بقصاصات من الورق الملون)

الهانم: ونستون، اخلع هذه القبعة. اجلس على الأريكة. هاتان السيدتان ستعرضان لنا خطاب اللورد بايرون الغرامي.

العانس: هل أُحضره؟

الهانم: أوه، نعم. هذا- أوه- زوجي- السيد توتويلز.

العانس (ببرود): تشرفنا.

الهانم: أنا السيدة توتويلز.

العانس: بالطبع. من فضلكما، اجلسا.

الهانم: (بعصبية): لقد كان- يحتفل قليلاً.

المرأة العجوز (تهز الستارة التي تحجبها): من فضلك، قولي له أن يكون شديد الحرص على السيجارة.

العانس: أوه، كل شيء على ما يرام. يمكنك أن تستخدم تلك السلطانية لرمادك.

المرأة العجوز: التدخين عادة غير ضرورية!

الزوج: أوه!

الهانـــم: هذه السيدة كانت تقول لنا كيف قابلت جدتها اللورد بايرون. في إيطاليا، صحيح؟

العانس: لا.

المرأة العجوز (بتأكيد): في اليونان، في أثينا، على سلالم الأكروبوليس! لقد ذكرنا ذلك مرتين. أظن. يا أرياذني، يمكنك أن تقرئي لهما فقرة من الجريدة أولاً.

العانس: نعم.

المرأة العجوز: لكن من فضلك، حاذري مما تختارينه لتقرئيه!

(نزعت العانس من دولاب السكرتارية صفحة ملفوفة في منديل ورقي، ومربوطة بشريط)

العانس: مثل الكثيرات من الشابات الأمريكيات الأخريات، في ذلك العصر، تلك هي، فقد ذهبت جدتي إلى أوروبا.

المرأة العجوز: قبل أن تُقدم للمجتمع بعام!

الهانـــم: كَمْ كان عمرها؟

المرأة العجوز: ستة عشر! بالكاد ستة عشر! كانت جميلةً جدًّا أيضًا! من فضلك، اعرضي لها الصورة، اعرضي للزوجين الصورة! إنها في صدر الجريدة.

(تنزع العانس الصورة من الكتاب، وتعطيها للهانم)

الهانـــم (تنظر): يا لها من فتاة جميلة. (تعطيها لزوجها) ما رأيك في أنها تشبه إجتز قليلاً؟

الـزوج: آه!

المرأة العجوز: انتبهي! يا أرياذني. يجدر بك أن تراقبي الرجل. أعتقد أنه كان يحتسي الخمر. أنا متأكدة من أنه كان۔

الـزوج (بقسوة): نعم؟ ماذا تقول في الخلف هناك؟

الهانـم (تلمس ذراعه محذرة): إهدأ يا ونستون.

الـزوج: آه.

العانس (بسرعة): قبيل نهاية رحلتها، ذهبت جدتي وعمتها إلى اليونان لتدرسا آثار الحضارة القديمة.

المرأة العجوز (مصححة): الحضارة الأوروبية القديمة.

العانس: كان ذلك في الصباح الباكر في أبريل، عام ألف وثمانمائة و-

المرأة العجوز: سبعة وعشرين!

العانس: نعم، في الجريدة تذكر جدتي-

المرأة العجوز: اقرئيه، اقرئيه، اقرئيه.

الهانـم: نعم، من فضلك اقرئيه لنا.

العانس: أحاول أن أجد المكان، إذا تحليتم بالصبر.

الهانـم: بالتأكيد، اعذريني. (تنهر زوجها الذي كان يومئ برأسه) ونستون!

العانس: آه، ها هو.

المرأة العجوز: كوني حذرة! تذكري أين ستتوقفين، يا أرياذني!

العانس: ششه! (تعدل من وضع نظارتها، وتجلس أمام المصباح) "بدأنا الرحلة باكرًا في ذلك الصباح، لنعاين آثار أكروبوليس. أعرف أنني لن أنسى كيف كان الجو صافيًا فوق العادة في ذلك الصباح. بدا لي كما لو أن العالم ليس قديمًا جدًّا، ولكنه صغيرٌ صغيرٌ جدًّا، تقريبًا كما لو أن العالم قد خلق من جديد. كان هناك مذاق التبكير في الهواء، شعرت بالانتعاش، انتعشت حواسي، سمت روحي. كيف أصف لك يا عزيزتي دياري، شكل السماء؟لقد

كانت تقريبًا كما لو بللتُ طرف قلمي في سلطانية ضحلة مملوءة باللبن. كان اللون الأزرق لقبة السماء رقيقًا. وكانت الشمس ترسل أول أشعتها الذهبية، ونسيم متدفق يداعب أطراف وشاحي وريش القبعة الرائعة التي اشتريتها من باريس. وهاج الكبرياء بداخلي حينما رأيت ذلك ينعكس عليهم! الصحف التي قرأناها هذا الصباح- ونحن نحتسي القهوة، قبل أن نغادر الفندق- تحدثت عن إمكانية نشوب حرب، لكن ذلك بدا بعيد الاحتمال، غير حقيقي: لا شيء كان حقيقيًا، حقًا، سوى سحر الآثار الذهبية والرومانسية ذات اللون الوردي التي تنفسناها من تلك المدن الساحرة".

المرأة العجوز: فلتتخطي هذا الجزء! وابدئي من حيث قابلته!

العانس: نعم... (تقلب عدة صفحات وتكمل) "من أفواه القدماء الأصوات الغنائية للعديد من الشعراء القدامى، الذين كانوا يحلمون بعالم المُثل، والذين يحملون في قلوبهم صورة نقية ومطلقة-"

المرأة العجوز: فلتتخطي ذلك الجزء! انتقلي إلى أسفل إلى حيث-

العانس: نعم! هنا! دعونا نقم بذلك دون المزيد من المقاطعات! "وصلت العربة التي تجرها الخيول إلى الموقف تحت التل، وشعرت عمتي بالإعياء-"

المرأة العجوز: كانت تعاني من احتقان في الزور، ذلك الصباح.

العانس: "- فضلت أن تبقى مع السائق، بينما أخذت في التسلق عاليًا على قدمي. وبينما أنا صاعدة فوق الأحجار القديمة المنهارة والطائرة-"

المرأة العجوز: نعم، نعم، هذا هو المكان!

(العانس تنظر في قلق، المرأة العجوز تدق الأرض بعكازها بنفاد صبر خلف الستائر)

أكملي، يا أرياذني!

العانس: "لم أمنع نفسي باستمرار من ملاحظة رجل يمشي بالكاد أعلى مني بعَرَج واضح-"

المرأة العجوز (باندهاش ساكن): نعم- اللورد بايرون!

العانس: "- وعندما كان يستدير، بين حين وآخر، ليرى البانوراما الرائعة في الأسفل-"

المرأة العجوز: حقيقةً، كان يراقب الفتاة التي خلفه.

العانس (بحدة): من فضلك، دعيني أنتهي! (ما من إجابة من خلف الستائر، وتستمر في القراءة) "كنت واقعة تحت تأثير لا يُقاوم لنبله غير العادي ورقة قسماته!"

(تقلب الصفحة)

المرأة العجوز: الأكثر وسامةً في كل مَن مشى على الأرض!

(تؤكد على حديثها متمهلة، بثلاث طرقات شديدة بعكازها)

العانس (باضطراب): "قوة وسمو حنجرته مثل حنجرة التمثال في القسمات التقليدية لصورته الجانبيه. شفتاه الحساستان وأنفه الدقيق الممتد، وشعره الفاحم الذي ينسدل على جبهته بطريقة ك-"

المرأة العجوز (تدق بعكازها سريعًا): فلتتخطي ذلك. الوصف يستغرق صفحات!

العانس: "... عندما وصل إلى قمة الأكروبوليس، بسط ذراعيه بشكل عظيم ورائع مثل إله شاب. الآن قلت في نفسى، إن الإله أبوللو قد هبط إلى الأرض في ملابس عصرية".

المرأة العجوز: استمري، تخطي ذلك، ابدئي من حيث قابلته!

العانس: "خشيت أن أقطع عليه وحيه الشعري، فمشيت بتمهل، وتظاهرت بأنني أشاهد المنظر. وحافظت على تحويل نظراتي بعيدًا هكذا بحذر، حتى أجبرني تقارب الخطوات على أن أمشي قريبةً منه".

المرأة العجوز: بالطبع، تظاهر بأنه لا يراها وهي قادمة!

العانس: "ثم وجهي لوجهه بشكل نهائي!"

المرأة العجوز: نعم!

العانس: "تلاقت أعيننا!"

المرأة العجوز: نعم، نعم هذه هي الفقرة!

العانس: "شيءٌ ما حدث بيننا لا أفهمه، شملني توهج كأنه قشعريرة سرت خلال عمق جسدي كله! غمرت ـ"

المرأة العجوز: نعم...هذه هي الفقرة!

العانس: "صاح: من فضلك، لقد أوقعتِ قفازك! ولدهشتي حقًّا اكتشفت أنني بالفعل أسقطته، وعندما أعاده لي ضغط على راحة يدي".

المرأة العجوز (بصوت أجش): نعم!

(أصابعها النحيلة تحاول التعلق بالستارة، ويدها الأخرى تظهر أيضًا وهي تفتح فتحة طفيفة في الستارة)

العانس: "صدقيني يا عزيزتي دياري، كاد يغشى عليَّ وانقطعت أنفاسي. وكثيرًا ما تساءلت لو أنني أكملت سيري بمفردي خلال الأطلال، فلربما تعثرت، ربما ترنحتُ شيئًا ما. اتكأت لبرهة على جانب عامود. بدت أشعة الشمس ساطعة جدًّا. جعلت عينيَّ تتألمان. خلفي مباشرة سمعت الصوت ثانيةً، بدا تقريبًا كأنني أشعر بلفحة أنفاسه في-"

المرأة العجوز: توقفي هنا! سيكون هذا كافيًا جدًّا!

(تغلق العانس الجريدة)

الهانم: أوه، هل هذا كل شيء؟

المرأة العجوز: هناك المزيد الذي لايمكن أن يُقرأ على الملأ.

الهانم: أوه.

العانس: أنا آسفة. سأريكما الخطاب.

الهانم: ياله من رائع! أتحرق شوقًا كي أراه! ونستون؟ قف!

(كان قد غرق تقريبًا في النوم. تحضر العانس رزمة صغيرة أخرى وتفضها. تحتوي على خطاب. تسلمه للهانم التي تهم بفتحه)

المرأة العجوز: انتبهي، انتبهي. تلك المرأة لا يمكن أن تفتح الخطاب!

العانس: لا، لا، من فضلك. لا يجدر بك. إن محتويات الخطاب خاصة جدًّا. سأمسكه هنا على بُعد مسافة قليلة حتى يمكنك أن تري الخط.

المرأة العجوز: لا تقتربي كثيرًا، فهي تمسك بمنظارها!

(الهانم تخفض منظارها بسرعة)

العانس: بعد فترة قليلة، قُتل اللورد بايرون.

الهانـــم: كيف قُتل؟

المرأة العجوز: قُتل في معركة، مدافعًا عن قضية الحرية!

(قالت ذلك بنبرة قوية جعلت الزوج يجفل)

العانس: عندما تلقت جدتي أنباء مقتل اللورد بايرون في معركة، اعتزلت العالم، وظلت في عزلة تامة لبقية حياتها.

الهانـــم: تيك-تيك- تيك! يا له من شيء مخيف. أعتقد أن ذلك كان حماقة منها.

(العكاز يدق بغضب خلف الستائر)

العانس: أنت لا تفهمين. عندما تكتمل الحياة فيجب أن تُطرح جانبًا. فهي مثل السوناتا. عندما تفرغين من كتابة المقطع الأخير، لماذا الذهاب إلى ما هو أبعد؟ فأنت تدمرين الجزء الذي كتبتِه بالفعل!

المرأة العجوز: اقرئي لهما القصيدة، السوناتا التي كتبتها جدتك في رثاء اللورد بايرون.

العانس: هل أنتما شغوفان بسماعها؟

الهانـــم: إننا نهفو إليها- بصدق!

العانس: اسمها "سحر".

الهانـــم (تتظاهر بتعبير الطرب): ك آ آه ه!

العانس (تقرأ):

في الأيام الزائفة تأملتُ موسم السِّحر
رحت أهيم في الزمان وفي جيوبه السالفة
حتى نسيت تمامًا أنها مكثت هنا وابتسمت
فوقعت في شباك الأيام الزرقاء الذهبية

المرأة العجوز: ليست الأيام الزرقاء الذهبية- أيام لها لون أزرق سماوي ذهبي.

العانس:

فوقعت في شباك أيام لها لون ذهبي وأزرق سماوي!

لكني افتقرتُ إلى الفطنة لأرى كيف تسامقت
روحك والأيام فرُحت في التيه أهيم-
(المرأة العجوز تبدأ في مصاحبتها بالإلقاء بصوت خفيض أجش. موسيقى خافتة لفرقة موسيقية يمكن أن تسمع)
بلمسة قمر من أقمار أكتوبر
في سحر الصيف الهادئ يمكن أن تطلق لنفسك العنان!

المرأة العجوز (بصوت عال حاد النغمة، وبإحساس قوي أعلى من صوت العانس):

أعرف أن حبك مكتوبٌ فوق روحي بالطباشير
لا تغسلها إلا دموع الفراق الضئيلة؟
لم تعرف كيف مشيت بخطوات بطيئة
الطريق القاحل لتلك السنوات الشتوية

حياتي فترة فاصلة تلاشت. هي قوقعة
جدرانها قبلتك الأولى- ووداعك الأخير!
(الفرقة التي تقود الموكب بدأت العزف سريعًا وعاليًا في الشارع. تمر مثلما مرت في سنوات الشغب المبتورة الرأس. نهض الزوج من سباته واندفع بقوة تجاه الباب)

الهانــم: ماهذا؟ ماهذا؟ الموكب؟

(يضع الزوج القبعة الورقية بقوة فوق رأسه، ويندفع تجاه الباب)

الزوج (عند الباب): هيًّا يا ماما. سيفوتك!

العانس (بسرعة): نقبل دائمًا- أتفهمان؟- مبلغًا صغيرًا من المال، أي شيء تجودان به.

المرأة العجوز: أوقفيه! إنه خارج الباب!

(هرب الزوج إلى الشارع. يدوي صوت الفرقة من خلال الباب)

العانس (تمد يدها): من فضلك- دولار...

المرأة العجوز: خمسون سنتًا.

العانس: أو ربع دولار!

الهانــم (لا تأبه بهما): أوه، يا إلهي- ونستون! لقد اختفى في الزحام! ونستون- ونستون! اسمحا لي! (تندفع نحو الباب، ثم تتوقف) ونستون! أوه يا إلهي، لقد هرب من جديد!

العانس (بسرعة): نحن عادةً نقبل مبلغًا صغيرًا لعرض الخطاب. أي شيء تشعرين أنك قادرة على إنفاقه. في الواقع هذا هو مصدر رزقنا!

المرأة العجوز (بصوت عال): دولار!

العانس: خمسون سنتًا- أو ربع دولار!

الهانــم (بلا وعي، عند الباب): ونستون! ونستون! أيام مباركة. وداعًا!

(تندفع خارجة إلى الشارع. تتبعها العانس حتى الباب، وتحجب عينيها من الضوء وهي تنظر للهانم. موجة من

قصاصات الورق الملون تُنثر خلال المدخل على وجهها.
يدوي صوت البوق. تغلق الباب وتحكم غلقه).

العانس: الرعاع!...الرعاع!

المرأة العجوز: ذهبا؟ دون أن يدفعا؟ خدعانا؟

(تفتح الستار)

العانس: نعم- الرعاع!

(تنزع خيوط قصاصات الورق الملون بحساسية شديدة من فوق كتفها. تخطو المرأة العجوز من خلف الستائر بقسوة ممزوجة بالغضب)

المرأة العجوز: أرياذني، خطابي! لقد أوقعتِ خطابي! خطاب جدتك ملقًى على الأرض!